من سيرة المرحوم

السيد محمد بن عقيل

(السيد محمد بن عقيل)

توفى المرحوم السيد محمد بن عقيل فأحدثت وفاته فراغا هائلا فى البلاد الاسلامية التى عرفته عالما من كبار علمائها، وعلما من رءوس اعلامها . ولما كانت سيرته مضرب المثل فى العصامية : فقد طلبنا إلى أحد تلاميذه وأصدقائه بحضرموت أن يبعث إلينا بجزء من سيرة المرحوم ؛ لننشره فى (المعرفة) التى تعنى بسير رجال الشرق ، وليكون لشبابنا من هذه السيرة حافز لاقتفاء أثرها ؟ المحرر

نشأته واجتهاده

نشأ رحمه الله عصاميا بمعنى الكلمة واستفاد بذهنه الوقاد واكبابه على المطالعة فى جميع الفنون فوائد جلى ، حتى برع فيها وحقق واجتهد . ونظر ودقق وانتقد ، وكتب وصنف وجمع وألف ، وكل هذا يرجع الفضل فيه لنفسه العصامية فهى الحافزة لهمته ، والباعث له على طلب العلم . وكان يقصد من الطلب أن يعمل به ليفيد أمته لا يرجو من وراء ذلك الا ابتغاء وجه الله . فلذلك حصل مجده واكتسب باجتهاده في الزمن القليل مامكنه من العمل الذى عجز عن مثله من هم أكثر منه تحصيلا وأوسع فى العلوم والفنون عرفانا .

رحلاته

رحل رحمه الله من وطنه إلى جاوه لأول مرة سنة ١٢٩٦ هـ وسنه اذ ذاك لا تتجاوز الحلقة الثانية ، وجاب أكثر الآفاق الشرقية والغربية ووصل فى رحلته الى البلاد الهندية مرارا والصين واليابان وسواحل البلاد الفارسية وزار أكثر عواصم أوروبا مرتين كما اختلف غير مرة إلى مصر والشام والعراق واليمن والحرمين، وحج مرارا وله تدوينات عن رحلاته أتى فيها بالغريب والعجيب : منها رحلة شيقة عن سياحته الى بير

برهوت، كتبها ببراعه الذى يسيل من مسنه ماء الابداع ولعاب الرقة والظرف، واجتمع فى سياحته هذه بكثير من أكابر العلماء الأعلام وعلماء الاسلام ، وحصلت بينه وبينهم مناظرات علمية كان الانتصار فى أغلبها فى جانبه .

مؤلفاته ورسائله

كان أثابه الله سيال القلم وقاد القريحة قوى الذاكرة سريع المراجعة. وقد كتب كثيرا من الكتب وذوات المجلات والرسائل ، تصنيفا وتدقيقا ونقدا ، وأكثرها لم يطبع وأهم مؤلفاته مايأتى : -

١ - كتاب « ثمرات المطالعة » فى خمس مجلدات ضخمة جمع فيها من الغرائب فنون العلوم ومن الابحاث الطلية والدقائق الجلية والاستنتاجات الصحيحة الشيء النافع الكثير .

٢ - كتاب «أحاديث المختار فى معالى الكرار » في ثلاث مجلدات ضخمة جمع فى هذا الكتاب من فضائل الامام على عليه السلام مالم يجمعه أحد مع بحث وتدقيق .

٣ - «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» مطبوع ، وهو كتاب جليل لم يسبق اليه فى تأليف مثله ، حلل فيه مؤلفه حياة رجل بنى أمية ، معاوية بن أبى سفيان تحليلا دقيقا بعلم وبحث ورواية ودراية ، وكان لظهوره صدى عظيم فى كافة الأقطار الاسلامية ، ولما كانت الأغلبية الاسلامية لا تعرف إلا أن ذلك الملك الأقوى ، وإلا انه كما يزعمون صحابى وكاتب وحى النبى صلى الله عليه وسلم ، ورأوا حيد المؤلف عن طريقتهم ثار ثائرهم وأرعدوا وأبرقوا ، ولكننا نرى جعجعة ولا نرى طحنا ، وتوالت الردود على المؤلف من كثير من العلماء ، وحصلت مرات المناظرة بينهم وبينه من أجله . ولكنهم فى النهاية استسلموا لما حواه كتابه الجليل واقتنعوا بالحجج التى فيه ، ومن أولئك الذين تصدوا للرد عليه علامة الشام جمال الدين القاسمى ، ولكنه فى النهاية رجع عن قوله معترفا بفضل المؤلف ومستغفرا لذنبه ، وأخبرنى من يوثق بكلامه بأنه ذات يوم جمع المرحوم وجمال الدين القاسمى مجلس وجرى الحديث فيه إلى مانحن بصدده ، فما أسرع أن تقدم إلي المؤلف معتذرا عن رده قائلا له : إني لم أكتب ذلك الرد إلا لأنى رأيت الأمة لم تقدر ذلك الكتاب حق قدره ، فأردت أن ألفت أنظارها فكتبت ردى عليه ، وليس لى رائد فيما رددته إلا ذلك .

وما أنا إلا من غوية إن غوت غويت وان ترشد غوية أرشد

وأجابه المؤلف غفر الله له بقوله صلوات الله وسلامه عليه وآله (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى)

٤ — « تقوية الايمان برد تزكية ابن أبي سفيان » مطبوع . وهو رد على عالم من علماء عصره ، وموضوعه كموضوع سابقه وفيه من الابحاث والبينات مالا يوجد فى النصائح .

٥ — « فصل الحاكم فى النزاع والتخاصم بين بنى أمية و بني هاشم » مطبوع .

٦ — « الهداية الي الحق في الخلافة والوصاية »

٧ — « العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل » . مطبوع ، وهو سفر جليل جدا في ابحاثه ، ونقد لم يسبق اليه ، رد به مؤلفه توثيق علماء السنة الناصبي غالباء وتوهينهم الشيعى مطلقا، و بين فساد ذلك و بطلانه مما لا نطيل الكلام بذكر موضوعه .

٨ — « رسالة فى الرد على منهاج السنة لابن تيميه » (٩) « رسالة فى تحقيق مقام الخضر » ١٠ — « رسالة في ايمان أبوى النبي » (١١) « مذكرات علمية » فى ٧ أجزاء .

جهاده فى سبيل الاسلام

كان رحمه الله مهتما بالتأليف والشئون الاسلامية والحوادث الكونية ، اهتماما كبيرا حتى كان فى أيام مرض موته يكاتب لفيفا من العظماء في كيفية السبيل الى الوقاية من الطاعون البقرى الذى فشى فى أنحاء اليمن وهلكت بسببه آلاف المواشى ، كما كان رحمه الله فى أيام علته أيضا لا يفتر عن المطالعة والبحث ، وقد حدثنى رحمه الله عن تأليفه رسالة عن مقام الخضر ية وتحقيق القول فيه ، فأفدته بأنى قد وقفت على رسالة فى هذا الصدد للعلامة ابن حجر العسقلانى ، فأمرنى — والاعياء بالغ فيه حده ، وآثار المرض بادية فى جسمه — أن ابحث عن تلك الرسالة فى مكتبته ، وفعلا أحضرتها وقرأها وقال لى بعد أن قرأها : إن أكثر مافيها قد حواه ، وقد حدث كل هذا فى مرض موته ، والحمى تفرى أحشاءه فريا ، وكان رحمه الله لا يدع فرصة إلا و يكتب فيها عن رأيه المقالات الطلية والانتقادات النزيهة فى مختلف الصحف بمصر وجاوا والشام ، ولا ساعة إلا و يعرب فيها عن الحقائق فى سبيل الدين والعلم . وكان من شعاره التكتم بالامضاء ليكون لتلك المقالة وقع أعظم مما لو كانت ممضاة باسمه الشريف ، وكثيرا ما ينتحل له اسم محمد الباقر العلوى ، أو عبد الحق العلوى وغيرها .

ومن أعز أصدقائه إذ ذاك المرحوم الكاتب الشهير الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ولمقالاته عنده المكانة السامية ، وكان لا يضعها إلا فى الافتتاحية لأهميتها ، ومن كتاباته التى كان لها وقع في العالم الاسلامى مقالة تحت عنوان (ضجيج الكون من فظائع عون) كتبها فى ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣١٦ أتي فيها على سيرة عون الرفيق شريف مكة إذ ذاك ، وعلى فداحة ظلمه وتفاقم شره وتماديه في غيه .

وكان رحمه الله ميالا الى الاصلاح الديني معتقدا أنه شطر أو شرط للاصلاح المدنى والسياسى : وطالما سعى فى تأسيس النوادى بسنغافورا لهذا الغرض ، وهو أول من أقام مدرسة عربية في تلك الجزيرة سميت بمدرسة الاقبال ، جلب لها أساتذة من مصر خاصة : وأنفق عليها من كيسه الخاص مبلغا ليس بالقليل (وكاتب هذه الاحرف كان من المنخرطين فى سلكها) وهو ايضا اول من أسس مطبعة اسلامية فى مستعمرات المضيق كان يطبع فيها مجلته الاسلامية (الامام) التى تصدر بلغة الملايو (لغة تلك البلاد) كما كان يطبع فيها عشرات الكتب العربية ؟ عبد الله بن أحمد بن يحيي العلوى

عبرة من التاريخ

(بقية المنشور على الصفحة ٩٩٨)

و باذنيس التي من حل ذروتها عز الملوك فان شا جار أوظلما
منيعة لم يحكدها قبله ملك إلا إذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها بعض النجوم إذا ماليلها عتما

وقال أيضا :

نفى تيزكا عن باذغيس ونيزك بمنزلة أعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها غمامة صيف زال عنها سحابها
ولا تبلغ الأروى شماريخها العلى ولا الطير إلا نسرها وعقابها
وماخوفت بالذئب ولدان أهلها ولا نبحت الا النجوم كلابها

عبدالوهاب النجار

(للبحث بقية)

سلمى الصغيرة

سلمى عنوان لرسالة أدبية خاصة بعث بها الأديب الفاضل الاستاذ عبدالله النجار الى صديقنا الاديب الاستاذ وديع مرشاق، يهنئه فيها بمولودة سعيدة . أسماها الاخ وديع «سلمى» و يظهر أن اسم سلمى . أثار في نفس الاديب النجار ، ذكريات غـــرامه فأملت عليه هذه الرسالة التي نزفها الى قرائنا ؟

المحرر

(الاستاذ عبد الله النجار)

أتخيلك الآن وقد أمعنت في أشواط الأبوة ، وأثبت قدميك في الحياة الزوجية ، أتخيلك رجـلا أشاح وجهه عن الربوع التي يهيم فيها العزاب المتخلفون ، وأقام حمـاه على أركان غير التي شادوا عليها بناء أحلامهم ، فليست أمانيه أمانيهم ، ولا رغبات نفسه تلك الرغبات .

وأراك بغير العـين التي كنت أراك بها من قبل ، فتى على وجهه سيمة الوقار ، وفي عينيه نظرة مستقبين لا تتراوح فيه الخيالات ، يستقر على متوضح الاشباح ، فلا يترجرج على التصورات ، تلوح عليه معاني القناعة النفسية والاستقرار ، و يستعرض في ساعات خلوته صور ماضيه ، فتبدو باهتة الألوان ، مختلطة المشاهد ، غريبة عن نزعات نفسه ، متنكرة على ميول قلبه ، متنافرة واتجاهات فكره ، كأنها عمل غير صالح من صنع ضال سواه يعرض عبثا عليه .

وأنفذ الى دائرة ذهنك — بسماح منك — فتتنكر جوانبها . لقد استبدلت بالأماني البعيدة الغور ، والاحلام السحيقة المدى ، أماني لا تقصر عن قاعها يد الجد ، وأحلاما قصيرة لا تعي بها قوة التحقيق ، و بدت واضحة فيها صور المقاصد ، و رسوم المبتغيات وعادت طيور الافكار من تيه المني ومجاهل الصبا الى أوكارها لاتوهى أجنحتها الا في طلب الحب ، وأصبح ذلك المـكان الذي جعله الشباب معبدا ، تتلى فيه ابتهالات القلوب وتتجاوب تلاحين الوجد ، وتنقش على جدرانه آيات التمني ، معملا تنشر فيه ألواح الخطط وتهيأ على صفائحه التدابير .

وقامت فيه حركة منظمة تصل بين الفكر والعمل بحبال مشدودة . والفكر والعمل في الحياة كالقوة والمادة في الكون لا ينقطع التحول بينهما والتجاوب ، فاذا انقطع كان الفكر قوة تائهة والعمل جمودا عقيما . وعلى قدر هذا التحول تصبح الحياة مثمرة مجدية . وها أنت قد دخلت في هذا الطور وضربت منه بسهم وافر .

فأن الغريزة الجنسية — تلك القوة الخفية — التي تحملنا من شاطىء الوجود الى الايجاد ، تمر بنا على الف جزيرة تنشد فيها الحوريات ، وتنقر الدفوف ، وتدعونا راقصة متمايلة على تلاحين الانغام قبل أن تلقي مراسيها حيث تعطي الحياة ثمرها ، فيستحيل الحلم يقظة والأمل عملا .

من هذه القوة الخفية ، تستمد أجنحة الشباب قوة التحليق ، وخيالات الصبا ألوانها الرائعة ، وعواطف القلوب خمرتها العلوية ، وتنبعث الآمال والاحلام متطايرة في الفضاء لا تلوى على قصد ولا تقر على مراد . كأن الحياة نغم قيثارته الجسد يضربها الزمان ، ثم تهن تلك القوة وتنفق ، فيطوى الشباب أجنحته ويقبع في كسر محبسه كالطير المهيض الجناح ، يرمق الفضاء الطلق ولا يحاول الانفلات ، يرى بابه المفتوح ولا يهب به الى الخروج مهيب ، تمر به الأسراب فينشر جناحه ثم يطويه .

ويملى البقاء ارادته على الحياة ، فتهتز أغصانها وتنثر أزهارها ، وتخلع ألوانها ، وتفتر عن ناضج الثمار . وتعود الاحلام والآمال كما تعود الطيور لتبنى أعشاشها قبل انتهاء الربيع ، وتهبط الافكار من سماواتها على شؤون الحياة ، هبوط الشلالات على المحركات فتصبح عملا منتجا بعد ان كانت قوة ضائعة .

ها أنت الآن قد بنيت عشك المأنور ، وآويت اليه ، وملأته بالبنين ! ها أنت قد أنشدت أنشودتك الباقية على الايام ، وتلوت تسبيحتك على الاجيال ، ونظمت قصيدتك للدهور !

وسبحان من علمك الاسماء ! وأوحى اليك اسم « سلمى » الجميل . تبارك هذا الاسم « الجامع » فيه صدى من أمسى ، علمني في الماضي عذوبة النداء ورقة الهتاف ، ثم الاسماء جميعها على سمعي بالترجيع ، أما اسم سلمى فينحدر تواً الى قلبي حاملا ذكريات عزيزة وقطعا مسلوخة من روحي .

فهاك كلمة أقدمها الى سلمى الصغيرة ، وهي هديتي الى الطفلة العزيزة ، هدية من بقية الشعر في قلبي عسى تروق لك ؟

عبد الله النجار